معسكرنا الجديد وصياح (بانزاى) الذى يصدر بكل انشراح كان مرتفعا كموج بحر عظيم

الفصل التاسع عشر

ميدان القتال بعد المعركة

قبل أن نأخذ موقع العدو أخيرا الموجود على طول ارتفاعات (تايبوشان) بذلنا جميعنا جهدنا الى النهاية فى تثبيت عزيمتنا وشجاعتنا فى محاربة عدو فى استحكامات عظمى وانا حاربنا ثمانية وعشرين ساعة بدون أكل ولا شرب أو نوم عدواً عنيداً يائسا ونجاحنا فى هذه الموقعة كان ذا أهمية عظمى لتصميمات حملتنا التالية وخسائر موقعة (نانشان) التى كانت زيادة عن الاربعة آلاف نسمة كانت تعد أشد موقعة لذلك الحين ولكن بمقارنتها مع (تايبوشان) نقول أنها اكتسبت بثمن زهيد اذ كان عند العدو سفح تعتمد أمامه يكنس منه القوات الهاجمة على بعد من موقع منيع أما هيئة الارض على طول (تايبوشان) فكانت مخالفة لها بالمرة اذ كانت التلول رأسية والوديان عميقة فكان يمكننا أن ندافع عن أنفسنا فى زاوية ميتة أو نختفى ونستر أنفسنا بسهولة ومع ذلك فخسائرنا هنا تساوى خسائرنا فى (نانشان) وانى أترك للقارئ على ذلك الحكم على شدة هذه المعركة

ولقد اجتمعنا ثلاثة أيام بقطعة أرض صغيرة وكنا نمضغ البقسماط الناشف الذى سميناه المؤونة الحديدية لعدم وصول مؤونة من خلفنا ولم نجد

الماء نشربه ولم نذق طعم النوم ولكن لما كنا فى غاية الحماس والتشوق للمحاربة لم يؤثر فينا ذلك . وكان الروسيون على هذه الحالة بنفسها لاننا لما فتشنا خط نارهم بعد احتلالنا الموقع وجدنا جميع خنادقهم مملوءة بالقاذورات فالظاهر ان الجنود مكثوا هناك بدون أن يخرجوا منها المدة السابقة والفرق بيننا سهولة وصول المؤونة اليهم . ولقد سرت جنودنا بوجود خبز اسود وسكر وغيرهما فى موافعهم من الاشياء التى تركها العدو خلفه . وأول شيء شعرنا به بعد انتهاء الموقعة النوم الذى كنا لا نريد غيره فبعد قليل ابتدأ الجنود أن يحنوا رؤوسهم واحدا بعد الآخر فناموا تحت سواتر خنادق العدو وهم سليمو القلب كالاطفال غير مقلقين نوم الروسيين القتلى العميق غير مفكرين فى أكل أو شرب وكانوا يغطون بصوت كالرعد البعيد حتى كانت طلقات العدو القليلة كأنها دندنة ناموس ولئن كان يتجلى عظم الموقعة فى وقت المعمعة ولكن فظاعتها تظهر بالاكثر بعد انتهائها ولما كنا تعودنا على منظر القتلى والجرحى الفظيع قل احساسنا عما كان بعد واقعة (ناتشان)

ولئن أعجبنا بشجاعة الروسيين اولا الا أننا بغضناهم فى واقعة (تابوشان) لانهم أفنوا رجالنا مع اعترافنا بأن هذه الفكرة سخيفة ولكن هكذا الطبيعة البشرية ومع ذلك فاننا نعجب ببسالتهم لانهم انما أدوا واجبا يشكرون عليه ولما دخلنا خنادقهم وجدنا على صدر موتاهم فتوغرافيات معلقة بها وهى صور احبابهم الذين تركوهم فى الاوطان الروسية بعدما سيقوا الى ميدان القتال بقوة الظلم دلالة على اجتماع بسالتهم وحنوهم معا كالمثل السائر «الشجاع أكثر حنوا والمحب هو الجسور »

وبعد ما انتهت الواقعة حضر مراسلتى فى الحال ومعه جربندية تركتها الروسيون وعند فتحها وجدناها مملوءة بأشياء كثيرة منها بدلة ملابس صينية فاستغربنا من ذلك ولكن فهمنا السر وهو استعمالها لغشنا لانهم كانوا يلبسونها عند استكشافاتهم إيهاما انهم صينيون وكانوا حقيقة حاذقين فى تنوع حيلهم بتغيير ملابسهم وصفاتهم كأنهم على مرسح تشخيص فنى حرب استقلال (أمريكا) قتل العدو ديده بانات الانكليز جميعها ليلا وهو لابس جلود معز ووجدنا أيضا أعلاما يابانية تركوها ويظهر أنهم كانوا يريدون غشنا حتى بأعلامنا وقد استولينا على أشياء أخرى كثيرة

وبعد موقعة (تايوشان) هذه وجدنا فى موقع العدو جثة جندى يابانى اسمه (هيودو) أحد كشافة ٢ جى بلوك وكان على جسمه سبعة وأربعون طلقة منها خمسة وعشرون فى ذراعه اليمين فقط ووجد على جندى آخر من آلاى آخر نحو السبعين طلقة وهذه الامثلة تدل كيف كانت مدافع الماكينة المهلكة التى تستعملها الروس ولما كان الاطباء لا يمكنهم تسمية هذه الجروح العديدة فى جسم واحد اخترعوا اسما جديدا وهو « جرح عش النحل » وكان كلما هجم جيشنا على موقع العدو كان مدفع الماكينة هذا هو الذى يحملنا خسائر جسيمة جدا

وجدنا أيضا فى المعسكر أربعة أو خمسة كلاب حرب للعدو قتلى وهى شديدة البنية وذات شعر أسمر قصير وقد قتلها مدافعنا ولو أنها حيوانات الا أنها اشتركت معهم فى ميدان القتال الشريف وكان الروسيون يمرنون هذه الكلاب على الاغراض الحربية ويجعلونها بذلك مفيدة فى طرق عديدة

ولقد قيل لى أن هذه الكلاب كانت تشتغل أحيانا ككشافة وانى عاينت باعتناء مكان هذه الموقعة الهائلة وعلمت كيف كانت المواقع الطبيعية والترتيبات العسكرية للمدافعة بديعة . وكانت خسارة الروسيين عظيمة جدا أيضا وان عددا عظيما من أمواتهم ترك فى المعسكر وفى خط تقهقرهم أما الذين التقطوا بصعوبة فقد حملوا على عشر عربات أو أكثر تجرها ثيران فنقلتها الى جهة بورت ارثور

ولنترك الآن ميدان القتال قليلا لاذكر لكم تأثير جيشنا على أفكار الروسيين وحديثين عن جنديين باسلين وهو أنه بعد هذه الموقعة التقط قسمنا العسكرى مذكرة كان كتبها الجنرال (فوك) قائد فرقة روسية وترجمتها هى « أن الجيش اليابانى يعرف كيف يتقدم ولكنه لا يعرف كيف يتقهقر لانهم عند ما يبتدئون مهاجمة موقع يستمرون على التقدم بشدة وعناد زائدين وهذا ما يمكنى أن أقوله ولكنى أقول أن التقهقر يكون أحيانا مفيدا عند عدم سنوح الفرص للتقدم ومع ذلك فان اليابانيين يستمرون دائما فى الهجوم بدون التفات الى قدر الخطر ومن المحتمل ان كتب تعليمات الحرب اليابانية ليس فيها تعليمات عن التقهقر بالمرة »

هل شجاعتنا هذه هى شجاعة الحيازير البرية التى لا تعرف كيف تتقهقر ؟ لا بل لان الرجوع للخلف كان يسخر به محاربو اليابان القدماء وكذلك محاربونا الحاليون يكرهون فكرة التقهقر ويمكن ذلك يكون خطأ الا أن اعطاء ظهر الانسان للعدو كان يعتبر انه أعظم عار يلحق بالمساموارى (المحارب اليابانى القديم) وهذا هو الشرط الاساسى الحربى لشعب اليابان

ذكره هذا القائد الروسى وهى شهادة جيدة للروح المنبثة في جميع ضباطنا وجنودنا الا وهى عزمنا على الموت مستمرين على المحاربة بثبات للامام أما الروسيون الذين كانوا يعتقدون بمنفعة التقهقر أحيانا وحتى كانوا يفتخرون غالبا بتقهقراتهم المنتظمة فيظهر أنهم لا يكتسبون انتصارات عديدة مع حذاقتهم فى فن التقهقر

وهنا أشرح مثلين مصداقا لقول القائد الروسى هذا بخصوص حمية وعزيمة رجالنا وهو انه فى اليوم السابع والعشرين كان تعين جندي اسمه (ماتسوموتو) فى خدمة الكشافة وكان يقاوم نيران العدو مشجعا جماعة صغيرة من اخوانه متقدما الامام بسرعة وبعد فجر ذلك اليوم رأى دمايسيل منحدراً على وجهه فصاح عندما « لقد انتهى أجلى » وكرر هذا القول مراراً ثم وقع فهرول اليه أونباشى ورفعه ثم قال له « احفظ قواك » ففتح (ماتسوموتو) عينيه وقبض على يد الاونباشى وقال له بابتسام « أنا شديد من فضلك تقدم » وما تم هذه الكلمات الا وقد فارقت روحه جسده

وكان أيضا جاويش باسل جداً اسمه (سامبا) من البلوك الثامن امتاز فى موقعة (كنزان) باقتحامه العدو وكان يمشى وهو يصيح « سأنتقم لكم اتقوا بى ! » وهكذا كان يعزى المحتضرين أو الجرحى الراقدين على طول الطريق قاصداً بذلك أن يعبر عن وداع ابدى أو كلمة مشجعة على حسب الحالة ولذا كان جميع الذين تحت امرته يحبونه كاخيهم الاكبر مقتنعين انهم يكونون سعداء اذا ماتوا مع الجاويش (سامبا) وخصوصا ملازمه الذى كان يحب هذا الجاويش ويعتقد انه أفضل من مائة رجل عادى وكان يصطفى (سامبا)

هذا في جميع الامور الصعبة وكان مسعاه دائما ناجحا لرزانته وشجاعته . ففي السابع والعشرين عندما ابتدأ المسير قاد الجاويش جماعته بثبات وصار يعدو بسرعة الى الامام صائحا كالمعتاد «سأنتقم لكم ! تقوا بي ! » والجنود تقع على يمينه وعلى يساره وأخيراً هو وقع تحت أقدام ملازمه الذي حاول يرفعه فشعر بدم ساخن يجري على يده فقال له الجاويش «قد انتهيت» بصوت منخفض فرد عليه الملازم « احفظ قواك يا جاويش سامبا » فبصق هذا الشهم الدم الذي كان يملأ فمه ثم قال والدموع ملء عينيه ملازمي ! بورت ارثور !

ومن قبل أن يتم جملته فارقته الحياة . فهل كان يريد ان يقول انه متأسف بان يموت قبل الهجوم العام على بورت ارثور أو كان يرجو والدموع ملء عينيه ان يقع ذلك الاستحكام بين ايدينا بغاية ما يمكن من السرعة ومهما كان فان شيئا واحدا كان محققا وهو ان هذا الوطني الصادق كان لا يفكر في شيء وقت مماته الا (بورت ارثور)

الفصل العشرون

محطة الاسعاف الطبية الاولى

كنت مشغولا في المناوشات التي حصلت على الارتفاعات الواقعة في الشمال الشرقي لتلول (هوانجتي) و(تشانجتون) حتى أنستني كل شيء سواها ولكني ابتدأت أن أفكر في صاحبي الطبيب (ياسوي) وهل نجا من جميع هذه الوقائع ففي مساء اليوم الثامن والعشرين عند ما كانت الغيوم الملبدة تتجمع